الأبعاد النفسية في شـــعر أعشى همـــدان السياســـي

د . عليّ محمد عيسى الشاظـــوف . د. رحاب محمد عيسى الشاظوف ،
أ . نســـــيبة سعد الفيتوري عبد الرّحـــــمن.
كلية اللغة العربية ـ جامعة السيد محمد بن عليّ السنوسي الإسلامية.

الملخّـــــــــص:

تناولتْ هذه الدراسة الأبعاد النفسية لشعر أعشى همدان السياسي، وقد هدفت إلى بيان المكامن النفسية التي تختفي وراء شعره بوصفة انعكاسًا للعصر الذي عاش فيه، معتمدة في ذلك على المنهج النفسي الذي بين فاعلية لغة النص الشعري وما تحويه من وشائج وعلاقات متصلة باللاوعي؛ حيث بينت الدراسة مجموعة من الاهتزازات النفسية للأنا الشاعرة التي ظهرت أنا متعالية باحثة عن المجد والسلطة في ظل مجتمع يؤمن بمبدأ القوة، وتبدي مقاومتها ووقوفها في وجه الآخر، بتحايلها عليه، أو انضمامها للجماعة أو ما يسمى بالأنا الجمعية، إضافة إلى انكسارات الأنا، واغترابها، وصراعها النفسي، ونكوصها إلى الماضي.

المقدمـــــة:

يُعد البعد النفسي من أهم الأبعاد في دراسة الأدب العربي، وقد تناول العديد من الباحثين هذا المنهج في دراسة الشعر، وأصبحت له العديد من الدراسات منها دراسة عباس محمود العقاد عن شعر ابن الرومي، ثم أتبعها بدراسة أخرى عن الشاعر أبي نواس، ودراسة محمّد النويهي لشخصية أبي نواس من خلال شعره، ودراسة طه حسين عن الشاعر أبي العلاء المعري، وغيرها من الدراسات التي تناولت الشعر بالتحليل النفسي في محاولة للكشف عن صلة المستويات الفنية في النص الشعري والكوامن النفسية للشاعر، وقد ركز النقاد في هذا المنهج على حياة الأديب وعصره فهو السبيل لفهم نصه؛ وبعبارة أخرى إن النقاد ركــزوا على تأثير الظروف المحيطة بالشاعر؛ لأنها الوسيلة الأولى لفهم نصه وشخصيته؛ ولذا أثرنا في التمهيد التعرف على شخصية أعشى همذان، وعصره ومكانته في قومه، في محاولة لفهم شخصية الشاعر والصراعات التي تحتدم داخلها، وما يميز هذا البحث هو ولوجه لشخصية

الشاعر من خلال شعره السياسي باعتباره شارك مشاركة فعالة في أحداث عصره السياسية، فلم يسبق أن درس شعره السياسي دراسة تحمل أبعاد أو إضاءات نفسية، فأغلب الدراسات السابقة تناولت شعره وحياته فقط، وقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقترن بالاستقراء، فقد عمد إلى تحديد النصوص السياسية لدى الشاعر، وتصنيفها على حسب تقسيمات البحث، وفحصها فحصًا متأنيًا؛ لتحليلها بصيغ ذات أبعاد نفسية كمحاولة دراسة مواقف الأنا والشعور بالاغتراب السياسي، وتجلت هذه المظاهر من خلال النص الشعري السياسي للشاعر.

وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين: المبحث الأول: مواقف الأنا والأنا الجمعية السياسية، وانقسم إلى ما يأتي:

1ـ موقف الأنا السياسية: والذي بدوره تمظهر فيما يأتي:

أ ـ تضخم الأنا ــ الأنا المتعالية.

ب ـ انكسار الأنا، وقد تجلت هذه الانكسارات في عدة مظاهر نفسية هي :

(1) ــ الحزن والكآبة.

(2) انشطار الأنا وهذا تجلى في مظهرين هما:

أ/ التمزق النفسي. ب/ التذبذب النفسي أو الجمع بين النقيضين

(3) الشعور بالخذلان .

(4) التحول العكسي.

(5) تمني الموت.

2/ مواقف الأنا الجمعية السياسية: وهذه تجلت في:

أ/ تضخم الأنا الجمعية الأنا الجمعية المتعالية، والتي انقسمت إلى قسمين:

1) الأنا الجمعية . القبيلة.

2) الأنا الجمعية . أ ـ البلد. ب ــ انكسار الأنا الجمعية.

تمهيد ــ الاغـتراب السياسي، وقد انقسم إلى أربعة أنواع هي:

(1) التمرد والثورة. (2) الحرمان. (3) الاغتراب عن الذات. (4) الاغتراب عن الآخرين. (5) الاغتراب عن الزمن الحاضر.

نبـــذة عن الشـــاعر ـ أعشـــى همدان ـ : هو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام الهمداني، ولقبه أعشـــى همدان شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية ولد في

الكوفة سنة 30هـ تقريباً، واشتغل أول حياته بقراءة القرآن الكريم، ثم انصرف إلى قول الشعر، وكان من الأشراف النقباء في قومه(1)، وكانت حياته مخاضًا سياسيًا مع أطراف مختلفة؛ حيث التحق في بداية حياته بفرقة التوابين التي ظهرت في الكوفة بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، التي كانت تطلب ثأر الحسين بن علي - رضي الله عنهما- ممن قتلوه، وقد حضر شاعرنا أعشى همدان مع هذه الفرقة المعركة التي وقعت بين التوابين وبين جيش الأمويين بقيادة عبيد الله بن زياد في موضع يقال له عين الوردة وانتهت المعركة بهزيمة التوابين ومقتل قادتهم، وقد رثاهم أعشى همدان في شعره(2)، ثم نراه بعد ذلك يلتحق بجيش مصعب بن الزبير في قتال المختار الثقفي الذي انتهى بهزيمة المختار، ومقتله في معركة المذار(3)، وقد ذكر أحداث هذه المعركة في شعره سواء أكان هذا الشعر في هجاء المختار أم في مدح مصعب بن الزبير، لكن أهل العراق سرعان ما تخلوا عن مصعب بن الزبير وتركوه وحيدًا أمام جيش عبد الملك بن مروان في معركة مسكن(4)؛ حيث انضموا إلى صفوف عبد الملك أثناء المعركة، مما أدى إلى هزيمة مصعب بن الزبير ومقتله، وقد أثر هذا الأمر في نفسية الشاعر فرثى مصعب بن الزبير، وذم خيانة أهل العراق له، ثم التحق أعشى همدان بعد ذلك بجيش سلم بن زياد سنة أربع وستين للهجرة الذي مُني بهزيمة ساحقة في معركة خجندة (5) مع الأتراك ثم نراه يلتحق مرة أخرى بجيش عبيد الله بن أبي بكرة سنة تسع وسبعين للهجرة؛ للجهاد ضد الأتـــراك في بلاد ما وراء النهر، وقد نزلت الهزيمة بهذا الجيش أيضًا على يد رتبيل ملك الأتراك، ومات عدد كبير منهم جوعًا وعطشًا ووقع شاعرنا في الأسر، مما جعل الشاعر يهجو عبيد الله بن أبي بكرة هجاءً مقذعًا، وقد آلمه وقوعه في الأسر، وبعده عن بلاده، ثم لم يلبث أن تخلص من الأسر، غير أنه يبعث مرة أخرى في جيش عبد الرحمن بن الأشعث الذي بعث به الحجاج للانتقام من رتبيل ملك الأتراك، وينجح عبد الرحمن بن الأشعث في الانتصار على رتبيل، غير أنه يأبى التوغل في أرض العدو؛ حتى لا تنقطع بهم السبل نظرًا لطول خطوط الإمداد، فاتهمه الحجاج بالخيانة مما اضطر ابن الأشعث في النهاية إلى الثورة على الحجاج وخلعه بعد التشاور مع جيشه وقادته، فاتفقوا على خلع الحجاج ثم خلعوا بعد ذلك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(6)، " ويمموا شطرا العراق كالسيل المنحدر ليس يرده شيء حتى يصل إلى قراره" (7)، وقد كان أعشى همدان شاعر هذه الثورة بلا منازع، وشارك فيها بشعره وبسيفه، وحرض على قتال الحجاج وخلعه،

واشتبكوا مع الحجاج في عدة معارك انتصروا فيها كمعركة تستر(8) ثم هزموا أمام الحجاج في معركة الزاوية(9) ثم جمعوا فلولهم والتقوا مع الحجاج في معركة دير الجماجم (10) التي كان النصر فيها للحجاج، ووقع شاعرنا أسيرًا في يد الحجاج، ولم تنفعه قصيدته التي ألقاها في مجلس الحجاج مادحًا له وللخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وقادة جيش الشام، وذم فيها أهل العراق واتهمهم بالبغي والظلم والخيانة؛ حيث أمر الحجاج بقتله سنة 83هـ (11).

المبحث الأول ـ مواقف الأنا الفردية والأنا الجمعية السياسية:

مواقف الأنا السياسية: قبل الخوض في مواقف الأنا عند شاعرنا وجب التعريف بمكونات النفس، وتوضيح موضع هذه الأنا بينها، وما الدور الذي تقوم به في النفس؟، ويعد عالم النفس النمساوي (سيغموند فرويد) أول من التفت إلى نفس الإنسان وقسمها إلى ثلاثة مكونات ، هي الهو، والأنا، والأنا العليا ، فتمثل الأولى (الهو) الغرائز والرغبات ، والسلوك الفطـــري الذي يولد مع الإنسان ، بينما تمثل الأنا : دور كبـــح بعض الغرائز التي ترغـب فيها الهو، والتي تتعارض مع المجتمع وعاداته، فهي بهذا المعنى تقبض على زمام الرغبات الغرائزيـــة التي تنبعث من الهو، وهي المسؤولة عن إعادة التـــوازن النفسي بين الهو والأنا العليا، فمهمتها إذًا ضبط الذات وحفظها، وأما المكون الثالث فهو الأنا العليا أو كما يطلـــق عليها فرويد الأنا المثالية أو الضمير، وهـــي السلطة الداخلية التي تدعو إلى الفضائل والســـمو(12)، وعند الشاعر فقدت هذه الأنا توازنها النفسي؛ بسبب الواقع المحيط بها، وتداعياته السياسية على نفسية الشاعـــر، وقد عبّر عن هذه التجربة النفسية السياسية من خلال شعره السياسي الذي عبَّر عن شخصيته، ومواقفه تجاه هذه التجارب، فهو يرسم صورة واضحة بأبعادها النفسية، فهذا البعد يتعلق" بالمزاج والميول، وما يعتري الإنسان من مركبات نقص تؤثر أكبر التأثير على كيانه الاجتماعي أو الجسماني، فما من سلوك أو فعل يأتيه الإنسان إلاَّ وله دوافعه وبواعثه" (13)، والشاعر في هذا العصر كان يميل في الاتجاه المضاد لبني أمية، فتأثرت الأنا عنده بالصّراعات الموجودة في عصره بين إقليمه المتمثل في العراق وبين بني أمية، وقد انقسمت مواقف الأنا عند شاعرنا إلى ما يأتي :

أ ـ تضخم الأنا ـ الأنا المتعالية: تتشكل مع نشأة الإنسان مفاهيم معرفية عن نفسه والبيئة المحيطة به والآخرين الذين يعيشون معه، وتصورات الفرد عن ذاته، وتقييمه لها، وهي تعد من أهم العناصر في توجيه سلوك الفرد في مجتمعه، وقد تظافرت عوامل عدة في ذلك العصر وساهمت في تشكيل شخصية أعشـــى همدان ، فقد كان الرجل شريفًا ونقيبًا في قبيلته، فضلاً عن كونه شاعـــرها ولسانها المنافح عنها، وفي مثل ذلك العصر المضطرب سياسيًا والذي اضطرب فيه كرسي الحكم وتنازعته شخصيات عدة من أمويين وزبيريين وغيرهم، كل ذلك جعل طموحات الأنا السياسية عند أعشى همدان تتضخم فيدفع بها في خضم هذا المعترك السياسي؛ لإرضائها وتحقيق توهجها، فشخصيته كما يراها تتوافر فيها عوامل السيادة والنصر على مناوئيه، يقول مفتخرًا بنفسه (14):

يَصُدُّ غُـــواةُ النـــاسِ عَنّـــي كَأَنَّـــما ... يَصُدّونَ عَن لَيثٍ بِخَفّانَ خادِرِ
وَمُـحَتَـمـِلٍ ضِـغناً عَلَـــيَّ تَـرَكـتُـهُ ... يُعالِـجُ مِـنّي غُـصَّةً بِـالحَناجِـرِ
فَماتَ فَلَم تَـذهَـب حَـسيفَةُ صَـدرِهِ ... يُخَـبِّرُ عَنهُ ذاكَ أَهـلُ الـمَقـابِـرِ
وَلا يُبرِئُ الدِرياقُ لَـدغي وَلا الـرُقـى ... وَلا مـوعِدي عِندَ اللِقاءِ بِضائِـري
فَإِن أُدعَ يَومَ الرَوعِ حَسَبي أَجابَني ... ذَوُو حَسَبٍ في ذِروَةِ المَجدِ فاخِرِ

فمن خلال الأبيات السابقة يؤكد الشاعـــر قوة الأنا عنده، والتي تتوافر فيها جميع شروط المجد والسلطة، وقد بالغ الشاعر في تعظيم الأنا، فوصل بها إلى حد التمادي والشطط في عُلو شأنها مقابل تهوين شأن الآخر وربما إخفائه تمامًا، وبعبارة أخرى إن تضخم الأنا وتعاظمها عند الشاعر جاء على حساب الآخر الذي تلاشى أمام توهجها ((فالذات المتعاظمة من داخلها لا يمكن أن يبقى فيها مكان للآخر" (15)، فالأبيات تصور فاعلية الأنا وتعاليها عند الشاعر، وذلك من خلال حضورها اللافت الذي عبر عن نفسه بتكرار ضمير المتكلم الياء (عنِّي / عليَّ / منِّي / لدغيِّ / موعدي / ضائري / حسبي / أجابني)، وهي ألفاظ في مجملها تدل على قوة الأنا وصلابتها من أجل الوصول بها إلى التعالي في مقابل اضمحلال الآخر وتلاشيه.

ونجد هذه الأنا المليئة بالاعتزاز والفخر والطموح تثور على صديقها والي أصبهان زمن الحجاج خالد بن ورقاء الرياحي؛ لأن الشاعر لم يجد عنده ما كان يطمح إليه، وهو طمعه في أن يوليه مركزًا سياسيًا، فيقول له (16):

وَما كُنتُ مِمَّن أَلجَأَتهُ خَصاصَةٌ إِلَيــكَ وَلا مِمَّــن تُـغُرُّ المَواعِـدُ
وَلَكِنَّــها الأَطـمـاعُ وَهــيَ مُـذِلَّــةٌ دَنَت بي وَأَنتَ النازِحُ المُتباعِدُ

فالأنا المتعالية عند الشاعر تتجســد في معاتبة صديقه؛ لتغيره عليه، وخذلانه له، فيلجأ إلى الفخر بنفسه، فالفخر هنا آلية وظفها الشاعر لتعزيز الأنا وتعاليها أمام الآخر، ومبدأ تعالي الأنا عند الشاعر قد فرضته عليه ظروف عصره الذي يقوم في أساسه على منطق القوة والصراع بين الأحزاب المتناحرة على السلطة، فقد التقت عند الشاعر مشاعر أطماعه في السلطة مع أناه المتعالية التي تأبى الضيم والخذلان، وقد تجلت الأنا المتعالية في هذه الأبيات؛ حيث وصلت إلى درجة عالية من التضخم والانتشاء، وبلغت منزلتها غاية المنتهى في العلو، فهي تثور وتصرخ وتكشف عن رغبتها في السلطة، بعد أن خاب أمل صاحبها (الشاعر) ولم يجد ما كان يرجوه من صاحبه، وهذه ردة فعل خرجت من مكامن النفس فكشفت عما يحتدم في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس متصارعة. ومن عناصر تضخم الأنا وتعاليها الاستخفاف والاستهزاء والســخرية من الآخر، وهو ما نجده واضحًا في قصيدته التي سخر فيها من القائد المشهور المهلب بن أبي صفرة، والذي كان يقاتل فرقة الخشبية من الخوارج ويحرض جيشه على قتالهم ويقول لهم : " لا يهولنكم هؤلاء القوم ؛ فإنما هم العبيد بأيديهم العصي" (17)، فهزمتهم الخشبية في ذلك اليوم، فقال أعشى همدان ساخــرًا منه (18):

يُسَمّونَ أَصحابَ العِصِيّ وَما أَرى مَــعَ القَومِ إِلّا المَشــرَفِيّةَ مــن عَصا
أَلا أَيُّــها اللَيــثُ الَّذي جــاءَ خــادِراً وَأَلقى بِباجَرمي(19) الخَيامَ وَعَرَّصا
أَتَحسَبُ غَـزوَ الشَأمِ يَـوماً وَحَـربَهُ كَـبيضٍ يُنَظّـمنَ الجُـمانَ المُـفَصَّصا
وَسَــيرَكَ بِــالأَهــوازِ إِذ أَنــتَ آمِــنٌ وَشُـربَكَ أَلـبانَ الخَـلايا(20) المُقَرَّصا

من هذه الأبيات نتبين أن الشاعر جعل من السخرية والاستهزاء وسيلة لتعالي الأنا، وثباتها في مواجهة الآخر، فاستعمال الشاعر لأسلوب السخرية؛ للتقليل من شأن الآخر، وتصغير صورته فيه استعلاء على الآخر، فهو يتهكم على المهلب بن أبي صفرة الذي استهزأ بفرقة الخشبية، ويشبهه بالأسد من قبيل السخرية، ويقول له إن قتال الخوارج بالشام ليس كقعودك مع النساء، أو شربك للألبان بالأهواز وأنت في مأمن من القتال.

ب ـ انكسار الأنا : على الرغم من قوة الأنا وتعاليها، لكن أحداث الواقع قد تكون في غاية القسوة والقوة؛ حيث تفشل في التغلب عليها، وهذا يؤدّي إلى ضعفها وهزيمتها أمام الواقع المعاش، والأحداث السياسية منها خاصة، وقد تجلت انكسارات الشاعر النفسية في المواقف السياسية للأنا فيما يأتي:

1- الحـــزن والكآبة: من مظاهر انكسار الأنا هو شعورها بالحزن والكآبة، وهو شعور يمر به المرء عندما يعقد آمالاً، ولا يتمكن من تحقيقها، فيصاب بخيبة أمل تسبب له الحزن والكآبة، وهو ما حدث لشاعرنا الذي تعددت النكبات السياسية في حياته، فأثارت في نفسه الحزن والكآبة ومنها هزيمته مع فرقة التوابين على يد عبيد الله بن زياد في معركة عين الوردة، فقد ظلت هذه الهزيمة مثيرة للكآبة والحزن في نفسه كلما تذكرها باعثة للحسرة على فقد قائده سليمان بن صرد يقول(21):

فَإنّي وَإن لَم أَنسَهُنَّ لَذاكِرٌ رَزِيةَ مِخبابٍ(22) كَريمِ المَناصِبِ

فصورة الحزن تتجسد في تعبير الشاعر عن إخفاقات الأنا المتكررة، حيث لم تنجح في الوصول إلى غايتها؛ ولذا ظهرت عاجزة ومنكسرة أمام ضربات الآخر الموجعة، بل تبدو أناه منكسرة كلما تذكر مصرع قائده، فهذه الحال (الفقد) ستظل عائقًا بين الأنا وبين الوصول لمبتغاها؛ أي أنها تعمل على تعطيل آمال الأنا وتحجيمها.

وقد تجلت مظاهر انكسار الأنا عند الشاعر مرة أخرى بعد مقتل مصعب بن الزبير، الذي عقد عليه الآمال للوقوف في وجه الأمويين، فآثار مقتله انكسارًا حادًا في ذات الشاعر، فكان مقتله فاجعة أقضت مضجعه، وجلبت له الهم والأرق؛ وذلك ناتج من تأثير الصدمة النفسية على أناه المتعالية والحالمة بالمجد والسؤدد، فانكسرت بعد مقتله، وكأن مصعبًا كان السبيل إلى المجد الذي ظل ينشده، وبمقتله انتهى كل شيء

بالنسبة للشاعر، فظل حبيس الحزن والكآبة، فلم يملك الشاعر سوى الدعاء على من غدروا بمصعب ونكثوا بعهده، فجاء الدعاء وسيلة تخفيف هول الصدمة التي انتابت الشاعر بمقتل مصعب بن الزبير، وما صاحبها من هموم وأحزان، سيطرت على ذاته، ومحاولة في الوقت ذاته من الشاعر لاستعادة توازنه النفســي، وفي رثائه لمصعب شيء من رثائه لنفسه ومواساته لها بعد فشلها في الوصول لما كانت تســعى إليه. يقول (23):

أَلا مَـن لِـهَمٍّ آخِـرَ اللَيلِ مُنصِبِ   وَأَمــرٍ جَـلـيلٍ فـادِحٍ لِـيَ مُشـيـبِ
أَرِقـتُ لِـمـا قَـد غـالَني وَتَبـادَرَت   سَواكِبُ دَمعِ العَينِ مِن كُلِّ مَسكَبِ
أَلَا بَهلَةُ اللهِ (24) الَّذي عَـزَّ جارُهُ   عَلـى النـاكِـثينَ الغـادِريـنَ بِمُصـعَبِ

هذه الهموم والكآبة والحزن تنتاب الشاعر أيضًا بعد مقتل قائد الثورة الكبرى ضد الأمويين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي أحد أشراف الكوفة في معركة دير الجماجم، ويبدو أنه شعور يشوبه الانكسار والعجز أمام الآخر بضرباته المتكررة المؤلمة، فأنا الشاعر لم تعد تملك أي قوة أو وسيلة تساعدها في الوقوف أمام الآخر أو حتى الظهور بمظهر قوي وإن أخفى عجزه خلفها. فيقول (25):

تَـأَوَّبَ عَـيـنُـكَ عُــوّارُهـا   وَعـادَ لِنَـفسِكَ تَذكـارُهـا
وَإِحــدى لَيـالـيكَ راجَـعتُـها   أَرِقـتَ وَنُـوّمَ سُـمّـارُهـا
وَمـا ذاقَـتِ العَينُ طَعمَ الـرُقـا   دِ حَـتّى تَبلَّجَ إِسفارُهـا
وَقـامَ نُـعـاةُ أَبـي قـاسِـمٍ   فَأَسبَلَ بِالدَمعِ تَحـدارُهـا
فَحَقٌّ العُيونِ عَلى اِبنِ الأَشَجِ   أَن لا يُـفَتَّرُ تَقـطـارُهـا

وفي أبيات أخرى تبلغ أنا الشاعر أقصى درجات الحزن والكآبة، بعد هزيمة جيش عبيد الله بن أبي بكرة أمام الأتراك، - والذي كان الشاعر جنديًا فيه - وما حل بهم من جوع ومأسٍ أدت إلى هزيمتهم في النهاية، يقول (26):

مـا بالُ حُـزنٍ فـي الـفُؤادَ مُـوَلِّجِ   وَلِـدَمـعِكَ المُتَحَدِّرِ المُـتَزَلِّـجِ
أَسَمِعتَ بِالجَيشِ الَّـذينَ تَـفَرَّقوا   وَأَصابَهُم رَيبُ الزَمانِ الأَعوَجِ

حُبِـسوا بِكابُلَ يَأكُلونَ جِـيادَهُـم   بِـأَضَـرِّ مَـنـزِلَـةٍ وَشَـرِّ مُـعَوَّجِ
لَم يَلقَ جَيشٌ في البِلادِ كَما لَقوا   فَلِمِـثلِـهِم قُـل لِلـنَوائِـحِ تَنـشِجِ

فالشاعر في الأبيات السابقة يرثى نفسه من خلال رثاء الجيش الذي كان أحد أفراده، وهو يرثي جنود هذا الجيش ويندبهم، فالمصاب جلل جمع بين الموت والجوع والهزيمة فهي ضربات متتالية نخرت أنا الشاعر ولم يجد لها صبرًا أو عزمًا؛ حيث يندب حظه العاثر، ويبدو أن القوة بين الطرفين لم تكن متكافئة، كما يلاحظ أن مبدأ الضعف والانكسار هو المسيطر في هذا النص وهو صاحب الحركة الفاعلة فيه، والمؤثرة في الصراع الدائر بين الأطراف المتصارعة (الأنا/ الآخر)، فالصراع هو الذي يحكم منطق الحياة والأحياء في كل زمن فما بلك بعصر الشاعر، عصر الأحزاب المتناحرة على السلطة، وعصر الفتوحات، وهو العصر الذي لا بقاء فيه إلاَّ للأقوى.

1- انشطار الأنا: إن الأنا تنشطر إلى نصفين نتيجة المواقف التي تمر بها فتكون في لحظة ما بين قبول لأمر ورفض له في آن واحد، وهذا الانشطار يخلق هوة بين شطريها، حتى يبتعدا عن بعضهما وتنشأ علاقة تنافرية بينهما فتصبحا في مواجهة بعضهما البعض؛ مما يتسبب في ظهور أبعاد نفسية تتمثل في التمزق النفسي والضياع، والاغتراب، والشعور بالخذلان، وقد تجلت بعض هذه الأبعاد في شعر أعشى همدان السياسي، منها:

أ/ التمزق النفســـــي: وهو ما حدث للشاعر عندما فرح بانتصار مصعب بن الزبير على المختار الثقفي في يوم المذار، ولكن هذا الفرح كانت تشوبه وتنغصه غصة في نفس الشاعر؛ لأن نصف قومه من قبيلة همدان كانت مع المختار، وقد قتل منهم خلق كثير أثناء المعركة؛ ولذلك فقد تجاذبت نفس الشاعر مشاعر مختلطة بين الفرح بالانتصار على المختار وبين الحزن والألم لمقتل أفراد قبيلته، يقول عن قتلى جيش المختار: (27)

أَقَـــرَّ العيَنَ صَرعاهُم وَفَـلٌ   لَهُم جَمٌ يُقَتَّلُ بِالصَحاري
وَما إن سَرَّني إهلاكُ قَومي   وَإن كـانوا وَجَدِّكَ في خِيارِ

لقد وقع الشاعر ضحية المشاعر المتناقضة، بين فرح بالنصر وحزن على مقتل أفراد قبيلته الذين قتلوا مع المختار، وقد حاول تخفيف الحزن بإقناع نفسه أن مقتلهم لم يكن ذنبه ولا ذنب أفراد قبيلته، ولكن السبب هو إصرارهم على الوقوف إلى جانب المختار.

ب ـ التذبذب النفسي أو الجمع بين النقيضين: لقد التحق الشاعر ـ كما بينا سابقًا- بحركة التوابين الذين خرجوا للمطالبة بثأر الحسين بن علي- رضي الله عنهما-، فهو إذن مناصر لآل البيت، ولكننا نجده في الوقت نفسه مناصرًا لحزب الزبيريين على الرغم من الصراع القوي الذي دار بين الهاشميين والزبيريين على السلطة، فلم يقر بنو هاشم للزبيريين بالخلافة، ولم يبايعوهم الأمر الذي جعل عبد الله بن الزبير يقوم بحبس محمد بن الحنفية في سجن عارم؛ ولعل الذي جمع بين هذين المتناقضين في نفس الشاعر هو كراهيته العميقة لحكم الأمويين؛ لذلك فقد كان يناصر كل من يعاديهم، يقول: (28)

وَإِنّي اِمرُؤٌ أَحبَبتُ آلَ مُحَمَّدٍ وآثَرتُ وَحياً ضُمِّنَتهُ المَصاحِفُ
وَدانَت بِهِ لابنِ الزُبَيرِ رِقابُنا وَلا غَبنَ فيها أَو تُحَزَ السَوالِفُ
وَتابَعتُ عَبدَ اللهِ لَمّا تَتابَعَت عَلَيهِ قُرَيشٌ شَمطَها وَالغَطارِفُ
وَأَحسَبُ عُقباها لِآلِ مُحَمَّدٍ فَيُنصَرُ مَظلومٌ وَيَأمَنُ خائِفُ
وَيَجمَعُ رَبّي أُمَّةً قَد تَشَتَّتَ وَهاجَت حُروبٌ بَينَهُم وَحسائِفُ

فهذه الأبيات توضح الولاء المزدوج الذي جمع بين الزبيريين وآل البيت في نفسه مما يثير صراعًا داخل نفسه، يحاول في النهاية أن يجعله لصالح آل البيت، فهو يرى أن مبايعته لابن الزبير هي أمر واقع لاتفاق شيوخ قريش وشبابها عليه، ولكنه يأمل في النهاية أن يرجع أمر الخلافة لآل البيت، وتحسم مسألة الخلافة، ويعود الأمن والهدوء لجماعة المسلمين.

3ـ الشـــعور بالخـــذلان : وهو درجة من درجات الانكسار عندما يأمل الإنسان في الآخر الجمعي المحيط به خيرًا، ولكنه في اللحظات الحاسمة يخذله ويخيب ظنه، فعلاقات أعشى همدان مع الآخر لم تكن كلها علاقات منافسة ومواجهة، بل كان بعضها قائمًا على التواصل والاحترام المتبادل والتعاون؛ لتحقيق هدف سامٍ، والتخلص من سلبيات تؤذي الجميع، ومن أكبر هذه السلبيات عند أهل العراق كان الحكم الأموي الذي تسلط عليهم، وأذاقهم الويلات كما يرون؛ ولذلك كان أعشى همدان يشارك في

جميع الثورات التي كانت ضد بني أمية متعاونًا في ذلك مع الثائرين من أبناء وطنه العراق، غير أنه في اللحظات الحاسمة في هذا الصراع السياسي والحربي مع بني أمية نجد أهل العراق يتخاذلون أو يخونون قادتهم، كما فعلوا مع مصعب بن الزبير؛ حيث تركوه في اللحظة الحاسمة في بداية معركة مسكن، وانضموا بكتائبهم وقبائلهم إلى عبد الملك بن مروان؛ مما أدى إلى هزيمة ساحقة لجيش مصعب ومقتله في المعركة، ولذلك نجد أعشى همدان يشعر بالخذلان والخيانة، ويذم أهل العراق في هذه المعركة، ففي لحظة الانكسار هذه لا يملك إلاَّ الدعاء عليهم، فيقول (29):

أَلَا بَـهلـَةُ اللهِ الَّـــذي عَـــزَّ جــارُهُ   عَـلــى النــاكِثينَ الـغادِريـــنَ بِمُصــعَبِ
جَزى اللهُ عَنا جَمعَ قَحطانَ كُلِّها   جَـــزاءَ مُـــسيءٍ قاسِــطِ الـفِعلِ مُـذنِبِ
جَـزاهُم إِلَــهُ النــاسِ شــَرَّ جـَـزائــِهِ   بِخِذلانِ ذي القُربــــى الأَريبِ المُـدَّرَّبِ
لَـحى اللهُ أَشـراف الـعِراقِ فَـإِنَّـهُم   هُــــمُ شـرَّ قَـومٍ بـَيـنَ شَـــرقٍ وَمَـــغرِبِ

لقد وصل انكسار أنا الشاعر أقصى غاياته؛ حيث عجزت الأنا في الوقوف أمام ضربات الآخر المؤلمة، فقد خذلت من أقرب الناس لها، وقد صرح الشاعر بذلك، وكردة فعل نفسية على هذا الفعل المغاير من الآخر الحليف والصديق الذي تحول إلى خصم معادٍ وغير متوقع، اتخذ الشاعر من الدعاء وسيلة يُغطي بها عجزه من ناحية، ويُرضى بها نفسه الغاضبة والناقمة، أو المصدومة من أصدقائه من ناحية أخرى.

وفي قصيدة أخرى يستمر شعور الشاعر بالخذلان من أهل العراق، في إشارة منه بعدم نسيان موقفهم المعادي لمصعب بن الزبير الذي ظهر فجأة، ولم يجد له ما يبرره، وربما يرجع هذا التكرار؛ لتأثير هذا الموقف على أنا الشاعر المنكسرة، فقد خلفَّ في نفسه جرحًا غائرًا لا يندمل، يقول (30):

فَبُعداً لِقَومٍ أَسلَموا أَمسِ مُصعَباً   بِحَدِّ سِنانٍ سَمهَرِيٍّ مُذَرَّبِ

ويبلغ الشعور بالخذلان من أهل العراق قمته عند أعشى همذان في الهزيمة الأخيرة لثورة العراقيين مع عبد الرحمن بن الأشعث، فقد تمكن الحجاج من إخماد ثورتهم والقضاء عليهم قضاءً مبرمًا. لقد بذل أعشى همدان في هذه الثورة كل قدراته سواء

أكان بالحرب الدعائية (الشعر)، أم بالقتال الفعلي والتحريض على القتال في ميادين المعارك، وقد حقق العراقيون النصر في بداية المعارك، ثم ما لبث أهل العراق أن عادوا إلى تخاذلهم، وتفرقهم حتى هزموا في النهاية، وهذا ما جعل أعشى همدان ينفجر عليهم ويتهمهم بالجبن، والخيانة، والظلم، والغدر، والفسق يقول (31):

أَبى اللــَهُ إِلّا أَن يُتــمَّمَ نــورَهُ ... وَيُطفِــيءَ نــارَ الـفاسِـقـينَ فَتَـخمَـُدا
وَيُنزِلَ ذُلّاً بــالعِراقِ وَأَهلِـــهِ ... لِما نَقَضوا العَهدَ الـوَثيقَ المُـؤَكَّـدا
وَمــا أَحدَثـوا مِـن بِـدعَةٍ وَعَظيمَةٍ ... مِنَ القَولِ لَم تَصعَدَ إِلى اللهِ مَصعَدا
وَما نَكَـثوا مِـن بَيـعَةٍ بَـعدَ بَيـعَةٍ ... إِذا ضَمِـنوها الـيَومَ خـاسوا بِها غَـدا
وَجُـبناً حَـشاهُ رَبُّـهـُم في قُلـوبِهِم ... فَـما يَـقرَبـــونَ النــاسَ إِلّا تَـهَـــدُّدا
فَلا صِدقَ في قَولٍ وَلا صَبرَ عِندَهُم ... وَلَكِنَّ فَخـراً فـيهِمُ وَتَـزَيُّـــــدا

لقد ألقى أعشى همذان هذه القصيدة بعد أسره أمام الحجاج وقادة أهل الشام فهو لا يذم أهل العراق إلاّ لغيضهم؛ ويذكرهم بفشلهم في الانتصار على الحجاج؛ ولذلك يتهمهم بكل التهم الممكنة وفي هذا الهجاء لأهل العراق يحاول من طرف خفي أن يثيرهم ويشعل فيهم شعلة الثورة من جديد، وهذا الأمر تفطن له الحجاج فعندما أكمل القصيدة قال أهل الشام للحجاج: قد أحسن أيها الأمير فخل سبيله، فقال لهم الحجاج: إنه قال هذا أسفًا لغلبتكم إياه وأراد به أن يحرض أصحابه، وقال للأعشى أظننت يا عدو الله أنك تخدعني بهذا الشعر ثم أمر بقتله.(32)

1- التحول العكسي: وهو أسلوب نفسي دفاعي حيث يحدث تغير جوهري في سمة أو ميل أو دافع في نفس الشاعر، فينقلب شعوره إلى الضد تمامًا، وهذا يعني أن شعور الفرد يكون مضادًا تمامًا لما هو موجود في اللاشعور(33)، وهذا ما حدث للأعشى في مجلس الحجاج بعد أن أسره، فقد انطلق لسانه بمدح الحجاج وقادة أهل الشام.

يقول: (34)

فَما لَبِثَ الحَجّاجُ أَن سَلَّ سَيفَهُ ... عَلَيـنا فَـوَلّـى جَمعُنا وَتَبَـدَّدا
وَمــا زاحَــفَ الحَــجّاجُ إِلّا رَأَيــتَهُ ... مُعاناً مُلَقّىً لِلفُـتوحُ مُـعَوَّدا
وَكَرَّت عَلَينا خَـيلُ سُفـيانَ كَـرَّةً ... بِفُرسانِها وَالسَمهَرِيِّ مُقَصَّدا
جُنــودُ أَمــيرِ المُــؤمِنينَ وَخَيــلُهُ ... وَسُلطانُهُ أَمسى مُعاناً مُؤَيَّدا

فهذه الحيلة النفسية الدفاعية تعد محاولة من أعشى همدان للإبقاء على توازنه النفسي، والتخلص من حالة التوتر والقلق والخوف من الموت، الناتجة من الاحباطات، والصراعات التي هزم فيها، ولم وتهدد أمنه النفسي فقط بل حياته كلها.

فهذا التحول يُبين انكسار الأنا، و يُخفي خلفه أنا منكسرة وعاجزة تتضاءل أمام قوة الآخر وسلطانه، وكيف لا؟؛ فهي في موقف لا تحسد عليه حين وقع صاحبها أسيرًا في الحرب، فأراد من خلال هذه الحيلة أن يحفظ ذاته من خطر الهلاك.

تمنـــــي الموت: يشكل تمني الموت وكراهية الحياة أقوى نقطة لانكسار الأنا عند الشاعر، وهذا الشعور القاسي الذي أضعف النفس وجعلها تكره الحياة، وتعجز عن مواجهتها، تمثل في التجربة النفسية المريرة التي عاشها الشاعر بعد هزيمة جيش مسلم بن زياد – الذي كان الشاعر أحد جنوده- في موقعة الخجندة مع الأتراك حيث يقول: (35)

لَيتَ خَيلي يَومَ الخُجَندَةِ(36) لَم تُهـ زَم وَغودِرتُ في المَكَرِّ(37) سَليبا

تَحــضُــرُ الـطَّـيرُ مَصرَعي وَتـَـرَوَّحـ تُ إِلـى اللَـهِ فـي الـدِماءِ خَضـيـبا

لقد استنكرت أنا الشاعر ما حدث من هزيمة نكراء، ووقفت عاجزة عن تلقي الحقيقة الواقعية التي نتجت من هذه المعركة، وبلغ بها الانكسار مرحلة تمني الموت ومفارقة الحياة، فالنفس مهزومة ولا تستطيع تقبل الواقع الجديد؛ ولهذا تتمنى الرحيل عن هذا الواقع والهروب منه ومفارقته، وعبَّر شاعرنا عن ذلك بأسلوب التمني، الذي بيَّن تأثير الهزيمة على نفسه في اللحظة الراهنة، كما بين شعوره بخيبة الأمل وخسران المسعى.

ب ـ مواقف الأنا الجمعية السياسية: إذا كانت علاقة الأنا بالآخر تنشأ نتيجة علاقة ـ في الغالب ـ ضدية بين الطرفين، وتكون هذه العلاقة نتاج عدم تأقلم الفرد مع واقعه، الذي يؤدي إلى نوع من الاغتراب عن مجتمعه، أو يدخل في صراع معه؛ لعدم رضاه عن عادات وتقاليد صارمة، فإنه في علاقة الأنا الجمعية يتغير الوضع، فالفرد يتكيف مع الآخر/المجتمع مما يؤدي إلى انصهار أنا الفرد مع المجتمع وهو ما يمكن أن نطلق عليه الأنا الجمعية؛ لأن الفرد هنا تغيرت رؤيته للآخر/ المجتمع من الرفض إلى القبول، ووفقًا لهذه تنتمي الأنا للآخر الذي قد تكون وجدت فيه معادلاً نفسيًا لمعاناتها، فتتأقلم معه وتشعر بالتعاون والانضمام له، فأنا الفرد انتقلت للتفكير في الواقع من

منظور فردي إلى منظور جماعي؛ أي أنها أصبحت تتقبل الواقع وتندمج فيه فتنشأ هنا علاقة (الأنا الجمعية) بين الطرفين فيصبحا كلاً واحدًا، وفي شعر أعشى همدان السياسي نلاحظ أن الأنا عنده ضمت الآخر القبيلة/ البلد في صراعها مع آخر/ السلطة، فتشكلت علاقة (الأنا الجمعية)، فالواضح أن أنا الشاعر وجدت في هذا الانصهار ما يعوضها عما فقدته في صراعها مع الآخر/ المعادي، فجاء وسيلة للوقوف في وجهه، ومن أهم تجليات مواقف الأنا الجمعية:

تضخم الأنا الجمعية:

تشكلت الأنا الجمعية نتيجة اتحاد أنا الشاعر مع الآخر (الجماعة أو القبيلة أو البلد)؛ ليصبحا كُلاً واحدً ضد الآخر المضاد أو المعادي، الذي قد يكون شخصًا أو قبيلة أو بلدًا آخر معاديًا لبلده، نتيجة تعارض المصالح الشخصية أو الجماعية، وتنقسم الأنا الجمعية المتضخمة عند أعشى همدان إلى قسمين:

أ/ الأنا الجمعية القبيلة.

ب/ الأنا الجمعية البلد.

الأنا الجمعية / القبيلة: من المعروف أن النظام الاجتماعي السائد عند العرب هو النظام القبلي، وهو نظام تطلبته طبيعة الحياة البدوية التي كان يعيشها العرب؛ حيث كانت قائمة على الحروب والغزو المتبادل؛ مما جعل الفرد في حاجة إلى قبيلة تحميه، وكذلك كانت القبيلة في حاجة إلى أفرادها؛ لموجهة القبائل الأخرى، وساد نظام القبيلة للفرد والفرد للقبيلة، وقد ترتب على هذا النظام تعصب الأفراد لقبيلتهم والفخر بها أمام القبائل الأخرى، وقد أدى الشعراء دورًا كبيرًا في تمجيد قبائلهم وتوثيق انتصاراتهم ومآثرهم، وقد دعا الدين الإسلامي إلى التقليل من التعصب القبلي المقيت الذي عاد بقوة في العصر الأموي من خلال التفاخر والهجاء بين شعراء القبائل، وانقسام القبائل وخاصة القيسية واليمنية في مساندتها للساعين إلى الحكم والخلافة كالأمويين والعلويين والزبيريين والخوارج وغيرهم، وقد تجلت الأنا الجمعية في شعر أعشى همدان وفق العصر الذي عاش فيه، وهو العصر الأموي الذي كثرت فيه العصبية القبلية وما تبعها من صراعات سياسية، فـ " وقف شعراء كل قبيلة وكل كتلة الموقف الذي تمليه عليه عصبيتهم ومصلحة قبيلتهم" (38)، وكان الأعشى من الأشراف في قبيلة همدان يقول عنه الجاحظ: " ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن تنافر إليه الأشراف أعشى همدان" (39)، وهو لسان اليمن وشاعرها كما شهد له بذلك والي

حمص النعمان بن بشير الأنصاري.(40)، وهذه المكانة الاجتماعية في مجتمعه وقبيلته، جعلته يتطلع إلى المجد والسؤدد، ومحاولة تغيير الواقع السياسي خاصة؛ ولذلك نجده يلتحق بداءة بحركة التوابين للأخذ بثأر الحسين بن علي - رضي الله عنهما- من الذين قتلوه، فشاعرنا ترجع أصوله إلى قبيلة حاشد التي كان منها ملوك قدماء في اليمن، ولذلك نراه دائمًا يفخر في أشعاره بأصله، بل إن سبب انضمامه لثورة عبد الرحمن بن الأشعث يرجع إلى كون عبد الرحمن بن الأشعث من قبيلة كندة اليمنية وأخواله من همدان، يقول في مدح عبد الرحمن بن الأشعث: (41)

وَإذا سَأَلتَ المَجد أَينَ مَحَلُّهُ فَالمَجدُ بَينَ مُحَمَّدٍ وَسَعيدِ
بَينَ الأَشَجِّ وَبَينَ قَيسِ باذِخٌ بَـخ بَـخ لِـوالِـدِهِ وَلِلـمَولـودِ

ويقول في مدحه- أيضًا- : (42)

يا اِبنَ الأَشَجِّ قَريعِ كِنـ ـدَةَ لا أُبـالـي فـيكَ عَتـبا
أَنتَ الرَئيسُ اِبنُ الرَئيـ ـسِ وَأَنتَ أَعلى الناسِ كَعبا

فالأشـــج هو الأشعث بن قيس جد عبد الرحمن بن الأشـــعث، وهو زعيم كندة وهو ما كان الشاعر حريصًا على ذكره والتشبث به ، فزعامة الأشعث وجده في قبيلة كندة اليمنية كفيلة بأن يتحمل الشاعر كل تبعات انضمامه لثورة ابن الأشعث فهذه الأنا الجمعية القبيلة وتعصبه لقبيلته وأهل اليمن زادت من كرهه لسيطرة الأمويين السياسية على السلطة، وكانت سببًا رئيسًا في أن تشـــتد خصومته لهم، وتضخمت هذه الأنا الجمعية عنده حتى صار الشاعر الرئيس لثورة ابن الأشعث، الأمر الذي جعله يلقى حتفه في النهاية على يد الحجاج. وعلى الرغم من أن أعشى همدان لم يكن بدعًا في هذا العصر الذي عادت فيه القبلية، واستفحل أمرها من جديد، إلاَّ أنها تبلورت في كثير من أشعاره سواء أكانت مدحًا أم هجاءً. وهذه الأنا الجمعية تتضخم حتى تتجاوز قبيلة الشاعر لتشمل القبائل اليمنية كافة؛ حيث نراه يعجب بنصرة قبيلته همدان لعبد الرحمن بن الأشعث الكندي في خصومته مع خالد بن عتاب الرياحي التميمي بناء على العصبية اليمنية؛ لأن كندة وهمدان من قبائل اليمن، يقول: (43)

أَلَم تَرَ دوسَـراً مَنَعَت أَخاها   وَقَد حُشِدَت لِتَقتُلَهُ تَميمُ

فالشاعر يمتزج عنده تضخم الأنا الذاتية مع الأنا الجمعية؛ فيصبحان شيئًا واحدًا، وهو لا يعتمد في صراعاته مع الآخر على نفسه فقط، بل على حسبه وانتمائه القبلي يقول : (44)

فَإِن أُدعَ يَومَ الرَوعِ حَسبي أَجابَني   ذَوُو حَسَبٍ في ذِروَةِ المَجدِ فاخِرِ

ب ـ الأنا الجمعية / البلد: ونقصد بها الفخر بالوطن أو البلد أو المكان الذي يعيش فيه الشاعر، فمن المعروف أن الشاعر كان كوفي الموطن، ولذلك نراه يتعصب للكوفة؛ بسبب التنافس الذي كان بين البصرة والكوفة في ذلك الوقت، وحين سيطر المختار الثقفي على الكوفة لجأ كثير من أهلها إلى البصرة، وطلبوا نصرة أهلها، وكان عليها يومئذٍ مصعب بن الزبير، فسار بأهل البصرة ومن معه من الكوفيين، وهزم المختار وشيعته في معركة المذار، فعدَّ البصريون هذا اليوم نصرًا على أهل الكوفة، فغضب أعشى همدان، وتعصب لوطنه الكوفة، وقال هذه الأبيات في الفخر بالكوفة، والتقليل من قيمة انتصار البصريين، ويتغنى بانتصارهم على البصريين في يوم الجمل يقول: (45)

اكسَعِ(46) البصريَّ إن لا قَيتَهُ   إِنَّـــما يُكـسَعُ مَـــن قَلَّ وَذَل
وَاِجعَلِ الكوفِـيَّ فـي الخَـيلِ وَلا   تَجعَلِ البَصرِيَّ إِلّا في النَفَل
أَفَخَـــرتُـم أَن قَـــتَلـــتُم أَعــبُداً   وَهـــزَمــتُم مـــــرَّةً آلَ عـــزَل
نَحـــنُ سُقـــناهُم إِلَـيكُم عُنـوَةً   وَجَـــمَعــنا أَمـرَكُــم بَـعدَ فَـشَل
فَــإِذا فــاخَـرتُـمونـا فَـاِذكُــرُوا   مــا فَعــلَنا بِكُــمُ يَــومَ الجَـمَل
بَــينَ شَــيــخٍ خـاضِبٍ عُثنونَــهُ   وَفَـــتىً أَبـيَضَ وَضـــّاحٍ رِفَــل
جـــاءَنــا يَـرفُلُ فـــي سـابِــغَةٍ   فَذَبَحـناهُ ضُحـىً ذَبـحَ الحَـمَل
وَعَـــفَونـــا فَنَــسيتُم عَـــفوَنـــا   وَكَـــفَـرتُــم نِعــمَةَ اللـــهِ الأَجَـل

فالشاعـــــر في الأبيات السابقة يفتخر بمدينته الكوفة لا بالقبيلة، وهذا النوع من الفخر لم يكن معروفًا من قبل عند العرب، والذي كان سائدًا هو الفخر القبلي الذي تأثر

بالألفاظ الإسلامية في العصر الإسلامي فاختلف عما كان عليه في العصر الجاهلي، وقد كشفت هذه الأبيات عن انعكاس صدى نفسية الشاعر المتعالية التي ترفض الآخر وتناصبه العداء، فيوظف الفخر ببلدته الكوفة، ويسترجع أمجاد الماضي؛ للتفاخر على أهل البصرة، فيذكرهم بموقعة الجمل التي انتصر فيها أهل الكوفة، فهذا النكوص من الشاعر أراد به استعادة توازنه النفسي من ناحية، واتخاذه ركيزة ينطلق بها لمواجهة الحاضر (الهزيمة الحالية) من ناحية أخرى، وهذا التعالي ما هو إلاَّ انتقاص من شأن الآخر وإلغائه تمامًا، وذلك واضح من ارتفاع صوت (لأنا الجمعية) في الأبيات: (نحن سقناهم/ وجمعنا/ فاخرتمونا/ فعلنا بكم/ جاءنا/ فذبحناه/ عفونا فنسيتم عفونا)، فتضخم الأنا الجمعية وتعاليها عن الآخر ما هو إلاَّ انعكاس لأنا الشاعر المتعالية، واعتزازه (بالأنا الجمعية) الذي فاق حدود الآخر، وذلك عن طريق توظيف غرضي الفخر والهجاء، فالفخر يقابل الأنا الجمعية المتعالية، والهجاء يقابل الآخر؛ لإلغائه أو الحط من شأنه، وهذا تحايل من الشاعر؛ لتنغيص الآخر، والتقليل من قيمة انتصاره، حتى يجعله انتصارًا بطعم الهزيمة؛ وذلك حين ذكرهم بهزيمتهم الماضية في موقعة الجمل، وما فعله أهل الكوفة بأهل البصرة آنذاك.

2 ـ انكسار الأنا الجمعية ـ القبيلة: تنكسر الأنا الجمعية جراء ضربات الآخر الموجعة والمتتالية؛ حيث لا تستطيع الوقـــوف في وجهه ومجابهته، وهذا الانكسار حدث لأعشى همدان عندما رفض الانضمام لحركة المختار الثقفي الذي كان يدعو إلى الدعوة نفسها التي دخل أعشى همدان من أجلها مع التوابين وهي الأخذ بثأر الحسين- رضي الله عنه- والدعوة إلى آل البيت لا لشيء؛ إلاَّ لكون المختار الثقفي قد أعطى الموالي الفيء وساوى بينهم وبين الأشراف من أهل الكوفة، بل يتعدى موقفه المستنكر هذا إلى الالتحاق بجانب المعارضين من همدان لحركة المختار، ومقاتلة بني قومه الموالين للمختار في معركة جبانة السبيع التي هزم فيها أعشى همدان والأشراف من قومه(47)، يقول: (48)

فَـلـــمّا اِلتَقَينا بالسَبيعِ وَأَنسَـلـوا — إِلَينـا ضَربـنا هامَـهُـم بالقَـواضِـب
فـما راعَنا إِلّا شَبـامٌ(49) تَحُسُّنا — بِأَسيافِها لا أُسقِيَت صَـوبَ هاضِبِ(50)
فَقُـتِّلَ مِـن أَشـرافِنا مَحـالِهِم(51) — عَـصـائِـبُ مِـنهُم أُردِفـَت بِـعَصائِـبِ
أَيَقتُلـُنا المُــخـتـارُ ظُـلماً بِـكُـفرِهِ — فَيا لَـكَ دَهـراً مُرصِـداً بِـالعَـجـائِـبِ

فالشاعر هنا يشعر بالخيبة وفقدان الأمل، بعد هزيمة الجيش المعارض للمختار الثقفي في موقعة جبانة السبيع؛ حيث تمكن المختار الثقفي من خصومه، والذي ضاعف حزن الشاعر أن بني قومه قاتلوا بعضهم بعضا فجزء منهم انضم للمختار الثقفي خاصة بيت شبام- وهم بطن من بطون همدان- الذين سيرهم المختار الثقفي لقتال قومهم في جبانة السبيع، فأثخنوا فيهم وقتَّلوا أشراف همدان، ويتضح استسلام الأنا الجمعية وانكسارها في قوله: (التقينا/ إلينا/ راعنا/ أشرافنا/ أيقتلنا) فهذه الألفاظ تدل على وصول الأنا الجمعية إلى أقصى درجات الانكسار والألم؛ لأن مصرع أشراف همدان كان على يد أبنائهم؛ ولذلك يتحسر الشاعر على هذا الواقع ويعلنها صرخة كلها ألم وقهر، واحتجاج على هذا الزمن الذي انقلبت فيه الموازين فقتل الأخ أخاه.

المبحث الثانـــــي ـ الاغتراب السياسي:

تتجلى أهم صـــور الاغتراب السياسي في المجتمع في الصراعات والحروب، التي تنشأ فيه، كما تنشأ علاقة ضدية بين الفرد ومجتمعه أو دولته حول مواقف معينة أو عادات وتقاليد وسياسات مفروضة يرفضها الفرد ويفرضها المجتمع، أو النظام السياسي، فتكون لدى الفرد رغبة في التمرد عليه وعصيانه، فيصبح أمام أمرين إما أن يواجه المجتمع، والنظام السياسي وإمَّا أن يتقوقع على ذاته فينعزل عن مجتمعه ودولته، ويمكن أن نرصد هذه الظاهرة في شعر أعشى همدان السياسي، فنجد الاغتراب عنده يتجلى في عدة مظاهر منها:

1ـ التمرد والثـــورة: ظهر الاغتراب السياسي بسبب التمزقات والحروب السياسية، والمذهبية التي كانت بين المسلمين، وخاصة في العراق إبان العصر الأموي، وبسبب سيطرة الأمويين على السلطة وحرمان آل البيت، وكبار الصحابة منها، ساد كثير من السخط على الأمويين، وفي العراق خاصة، حيث تصارعت على السلطة أحزاب الشيعة والأمويين والزبيريين والخوارج وغيرهم.

إن وجود هذه الأحزاب في العراق، وما حدث فيه من صراعات على السلطة، وانتصار الأمويين في النهاية، وحكمهم العراق بالقوة، والقسوة، والتنكيل، وفرض حكمهم على جميع طوائفه، خلَّف في أهل العراق موجة من الرفض السياسي لهذا الحكم، وخلَّف في أنفسهم شـــعورًا من الاغتراب السياسي عمن كانوا يأملون أن

يحكمهم، فلم يشعروا بالترابط مع بني أمية، بل كانوا ساخطين على حكمهم وولاتهم القساة الذين أذاقوهم مرارة العذاب والظلم، وكان أبرزهم في ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي.

وأعشـــى همدان كان ابن هذه البيئة، فقد عاش كل هذه المآسي وتجرع مرارة الظلم الذي تمثل في الحجاج والي العراق حينئذٍ؛ ولذلك عندما رأى ثورة عظيمة على الحجاج وظلمه كان أعشى همدان المنبر لهذه الثورة وشاعرها، وانطلق شعره يرسم الصورة البشعة والقبيحة لحكم الأمويين، متمثلة في واليهم على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، فنراه يذم الحجاج بشعر على بحر الرجز فيقول: (52)

إنّا سَمَونا لِلكَفورِ الفَتّان
حينَ طَغى في الكُفرِ بَعدَ الإيمان
بِالسَيّدِ الغِطريفِ عَبدِ الرَحمَن
فَقُل لِحَجّاجٍ وَلِيّ الشَيطان
يَثبُت لِجَمعِ مَذحِجٍ وَهَمدان
فَإِنَّهُم ساقوهُ كَأَسَ الذَيفان(53)
وَمُلحِقوهُ بِقُرى اِبنِ مَروان

2- الحرمان: يعد الحرمان من أهم مظاهر الاغتراب السياسي عند أعشى همدان، والمتمثل في الظلم، والحرمان من ثروات بلاده التي تجبى وتقدم إلى جند الشام على طبق من فضة، وهذه إشارة من الشاعر بعدم وجود عدالة اجتماعية في دولة بني أمية التي اعتمدت مبدأ المصلحة في توزيع ثروات البلاد من باب الموالاة لهم، ومبدأ الحرمان لمن يناصبهم العداء، ويقف ضدهم في صراعاتهم السياسية، إن هذا الحرمان شكل اغترابًا عند الشاعر عن الدولة ومنافعها، وصنع نوعًا من القطيعة النفسية بينه وبين حكام بني أمية، يقول: (54)

نَجُمُّ وَلا نُعطى وَتُعطى جُيوشُهُم وَقَد مَلؤوا مِن مالِنا ذا الأَكارِعِ

3ـ **الاغـــتراب عن الذات:** إن مداومة الشاعر على الحروب، واشتراكه في معارك الفتن، وجيوش الفتح المشتبكة مع الأتراك في بلاد ما وراء النهر، كل ذلك ترك أثرًا واضحًا على جسده وقوته، وخلف آثارًا وندوبًا في جسده، وهذا التغير الجسدي لا بد أن يخلق شعورًا من الاغتراب النفسي عن الذات، ويتجسد هذا الاغتراب في استنكار الشاعر واستغرابه لما وصل إليه حاله المزري الذي وصل إليه جسده، والذي يختلف عن حاله زمن مصعب بن الزبير وعيشه الرغيد في كنفه، ذلك الزمن الذي كانت فيه الذات أقوى على الفعل يقول: (55)

وَصَلِيتُ الحَربَ حَتّى تَرَكَت جَسَدي نِضواً كَأَشلاءِ اللِجامِ

4ـ **الاغتراب عن الآخـــرين:** كان أعشى همدان صديقًا لخالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي التميمي، والي أصبهان، وقد رحل إليه الشاعر؛ طمعًا في إكرامه وعطائه، ولكن الأمير تجاهله، وفضل أعداءه عليه واستمع إلى طعونهم وكلامهم فيه، فقال: (56)

وَكانَت أَصبهانُ كَخَيرِ أَرضٍ لِمُـغتَرِبٍ وَصُـعلـوكٍ عَـديمِ
وَلَـكِـنّا أَتَـيناهـا وَفـيـها ذَوو الأَضغانِ وَالحِقدِ القَديمِ
فَأَنكَرتُ الوُجـوهَ وَأَنكَرَتني وُجـوهٌ لا تُـخَبِّرُ عَـن كَريـمِ
فكـانَ سَفاهَةً مِنّي وَجَهلاً مَسيري لا أَسـيرُ إِلـى حَميمِ

لقد كانت أصبهان عند شاعرنا خير أرض للفرسان المغتربين الطامحين إلى تحقيق أهدافهم وأمانيهم، ولكنه تفاجأ عند قدومه لها بتنكر الأصدقاء، وكثرة الأعداء فيها، مما جعله يكابد شعورًا اغترابيًا مضاعفًا يجمع بين الاغتراب المكاني؛ لبعد مدينة أصفهان عن موطنه وقومه، واغتراب اجتماعي قاسٍ؛ حيث وجد نفسه في غربته في محيط من الأعداء، الأمر الذي جعله نادمًا على المسير إليها أصلاً، حيث اتَّهم نفسه بالسفاهة والجهل؛ لأنه لو كان حكيمًا لأدرك منذ البداءة خطأ السير إلى أرض تمكن فيها أعداؤه، وقل فيها أصدقاؤه.

5ـ الاغتراب عن الزمـــن الحاضـــر: وقد تمثل ذلك في الحنين إلى الزمن الماضي، فالإنسان في مواجهة صعوبات الواقع المعاش، يلجأ في كثير من الأحيان للهروب من

قسوة ومرارة الحاضر إلى الماضي، وهو يضع الماضي في مواجهة الحاضر المرير في نفسه؛ لخلق جو نفسي مغاير تمامًا لواقعه، وهذا يمنح النفس المتعبة لحظات السعادة التي يقوم الفرد باستدعائها من الماضي؛ لتسود ولو لبرهة على أحزان الحاضر. وإذا ما نظرنا إلى شعر أعشى همدان السياسي نجد أنه يلجأ إلى تمني عودة الماضي والحنين إليه؛ وذلك عندما تمنى عودة دولة مصعب بن الزبير التي كان ينعم فيها بالعطاء والتقدير والأمن، وهو ما يفتقده في ظل حكم الأمويين يقول: (57)

فَيا دَهرَنا مِن قَبلِ مَقتَلِ مُصعَبٍ أَلا إِرجِع بِدُنيانا الرَفيعَةِ تَخصِبِ
وَبِالأَمنِ وَالعَيشِ الَّذي حَلَّ دونَهُ فَـهَـذا زَمــانُ الـخائِــفِ المُـتَرَقِّـبِ

إن الخوف والترقب والقلق الذي يعانيه الشاعر في حياته بعد انتصار الأمويين، نغص عليه حياته فلم يستقر نفسيًا، ولم يذق طعم الأمان، فكان دائم الخوف من أن يطلبه الأمويون بجريرة أنه أحد رجال مصعب بن الزبير، وفي ظل هذا العذاب النفسي يحاول أن يمنح نفسه بعض التعويض النفسي؛ وذلك من خلال الرجوع إلى الزمن الآمن، والخصب من حياته زمن مصعب بن الزبير. وفي موقف آخر يحن الشاعر إلى ماضيه السعيد بعد وقوعه في الأسر في بلاد الديلم يقول: (58)

أَصبَحتُ رَهناً لِلعَداةِ مُكَبَّلاً أُمسي وَأُصبِحُ في الأَداهِمِ أَرسُفُ
وَلَقَد أَراني قَبلَ ذَلِكَ ناعِماً جَــذلانَ آبــى أَن أُضــامَ وَآنَــفُ

إنه يحــن إلى زمن الحرية الذي كان فيه قادرًا على الفعل، وتملؤه السعادة والأنفة والعز، فكأنه يقارن بين الزمنين؛ ولعل استدعاء صور الماضي السعيد يقدم بعض العزاء لنفس تعاني قيود الأسر وويلات الحاضر.

الخاتمة:

الأغراض الشعرية عند الشعراء بمختلف أنواعها تنبع من تجارب شعورية نفسية نتجت من معاناتهم لهذه التجارب، وهذا ما تتبعته هذه الدراسة في محاولة منها لسبر البعد النفسي للشعر السياسي عند أعشى همدان، والذي تبين بعد البحث أنه تمظهر في مواقف الأنا والأنا الجمعية السياسية والاغتراب السياسي.

1 ـ مواقف الأنا:

أـ تضخم الأنا الشاعرة: حيث رأى الشاعر أن له من الشرف ما يسمح له بتقلد المناصب السياسية في عهده، كما ظهرت أنا الشاعر المتعالية في السخرية من الآخر كسخريته من القائد الأموي الشهير المهلب بن أبي صفرة.

ب ـ انكسار الأنا وتمثل في الحزن والكآبة؛ بسبب هزيمة التوابين على يد عبيد الله بن زياد، وكذلك بعد مقتل مصعب بن الزبير وأخيرًا هزيمة عبد الرحمن بن الأشعث أمام جيش الأمويين، كما تجسد انكسار الأنا السياسي في انشطارها الذي كان من أهم مظاهره: التمزق النفسي، والتذبذب النفسي، أو الجمع بين النقيضين، ثم توالت مظاهر الانكسار النفسي فكان الشعور بالخذلان، والتحول العكسي، وتمني الموت.

2 ـ من أهم مواقف الأنا الجمعية السياسية تضخم الأنا الجمعية التي انقسمت إلى قسمين: الأنا الجمعية القبيلة، و الأنا الجمعية البلد، بينما تجسد انكسار الأنا الجمعية في نوع واحد وهو: انكسار الأنا الجمعية القبيلة.

3 ـ تجلى شعر الاغتراب السياسي عند أعشى همدان في التمرد والثورة على حكم الأمويين، والشعور بالحرمان في ظل حمكم بني أمية، إضافة إلى اغتراب الشاعر عن ذاته؛ بسبب ما لحق بها من آثار الحروب المتعددة، ومن مظاهر الاغتراب السياسي أيضًا الاغتراب الذاتي الذي تمثل في تنكر صديقه والي أصبهان له، وأخيرًا الاغتراب عن الزمن الحاضر الذي تجسد في تمني عودة الزمن الماضي السياسي الرغيد زمن حكم مصعب بن الزبير.

الهوامـــــــش:

1/ الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ت 356ه، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، أ. بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008م، مج 6 /ص27، وينظر: ديوان أعشى همدان وأخباره، تحقيق: د. حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م، ص 9- 12.

2/ ينظر: تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت310ه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت، ج5/ ص 608.

3/ ينظر: المصدر السابق، ج6، ص 97- 110.

4/ ينظر: المصدر السابق، ج 6، ص 159- 162.

5/ ينظر: الكامل في التاريخ: أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ت 630ه، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، راجعه وصححه محم يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، مج3، ص 446.

6/ تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج6، ص 338، وينظر: ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 48-50.

7/ المصدر السابق، ص 51.

8/ تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري، مصدر سابق، ج6، ص 340-341.

9/ المصدر السابق نفسه، ج6، ص 342 وما بعدها.

10/ المصدر السابق نفسه، ج6، ص 364 وما بعدها.

11/ ينظر: المصدر السابق، ص 55 إلى ص63.

12/ ينظر: الأنا والهو، سيغموند فرويد، ترجمة الدكتور: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط4، 1981م، ص 16 – 17.

13/ النص المسرحي: دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية: د. شكري عبد الوهاب، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، د.ط، 1997م، ص 56.

14/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 130 .

15/ النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2001م، ص 127.

16/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق ص 105.

17/ الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج6/ ص 40.

18/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 135 - 136.

19/ بباجرمي: قرية من أعمال البليخ قرب الرقة من أرض الجزيرة، ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، 1977م، مج1، ص313.

20/ الخلايا: جمع خلية: الناقة المخلاة للحلب، لسان العرب: جمال الدين بن منظور، تحقيق: اليازجي وآخرون، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادة خلا.

21/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 77.

22/ مخبات: المخبت: الخاشع، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، مادة خبت.

23/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 82.

24/ بهلة الله: البهل: اللعن، وعليه بهلة الله عليه لعنة الله، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، مادة بهل.

25/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 122.

26/ المصدر السابق، ص 93.

27/ المصدر السابق، ص 128.
28/ المصدر السابق، ص 143.
29/ المصدر السابق، ص 82 – 83.
30/ المصدر السابق، ص 89.
31/ المصدر السابق، ص 101 – 102.
32/ ينظر: مقدمة ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص63.
33/ ينظر: قائمة ميكانيزما الدفاع: إيلفيتش وجليسر، تعريب وتقنين دكتور: مجدي محمد الدسوقي، كلية التربية النوعية، جامعة المنوفية، د.ط، د.ت، ص19.
34/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 102 – 103.
35/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 74.
36/ خجندة: من مدن فرغانة غربي نهر الشاش، معجم البلدان: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص 347.
37/ المكرّ: من كر على العدو يكر، ورجل كرار مكرٍ، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، مادة كرر.
38/ العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي: إحسان النص، دار الفكر، بيروت، ط2، د.ت، ص 375.
39/ البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ط2، 1968م، ج1، ص 48.
40/ الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، مصدر سابق، ج6، ص 39.
41/ ديوان أعشى همدان، مصدر سابق، ص 113.
42/ المصدر السابق، ص 73 – 74.
43/ المصدر السابق، ص 156.
44/ المصر السابق، ص 130.
45/ المصدر السابق، ص 149- 150.
46/ اكسع: اضرب، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، مادة كسع.
47/ ينظر: تاريخ الأمم والملوك: الطبري، مصدر سابق، ج6، ص43-44-45-46.
48/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص81.
49/ شبام: بطن من بطون همدان تقطن اليمن ومنهم من قطن بالكوفة، ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص318.
50/ هاضب: دفعة واحدة من المطر، ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مصدر سابق، مادة هضب.
51/ محالهم: القوة والشدة، ينظر لسان العرب: لابن منظور، مصدر سابق، مادة محل.
52/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص164.
53/ الذيفان: ذأف وهي سرعة الموت، والذيفان السم الذي يذأف ذأفًا، ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، مادة ذأف.
54/ ديوان أعشى همدان وأخباره، مصدر سابق، ص 137..
55/ المصدر السابق، ص 159.
56/ المصدر السابق، ص 161.
57/ المصدر السابق، ص 89.
58/ المصدر السابق، ص 140.
بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2001م.